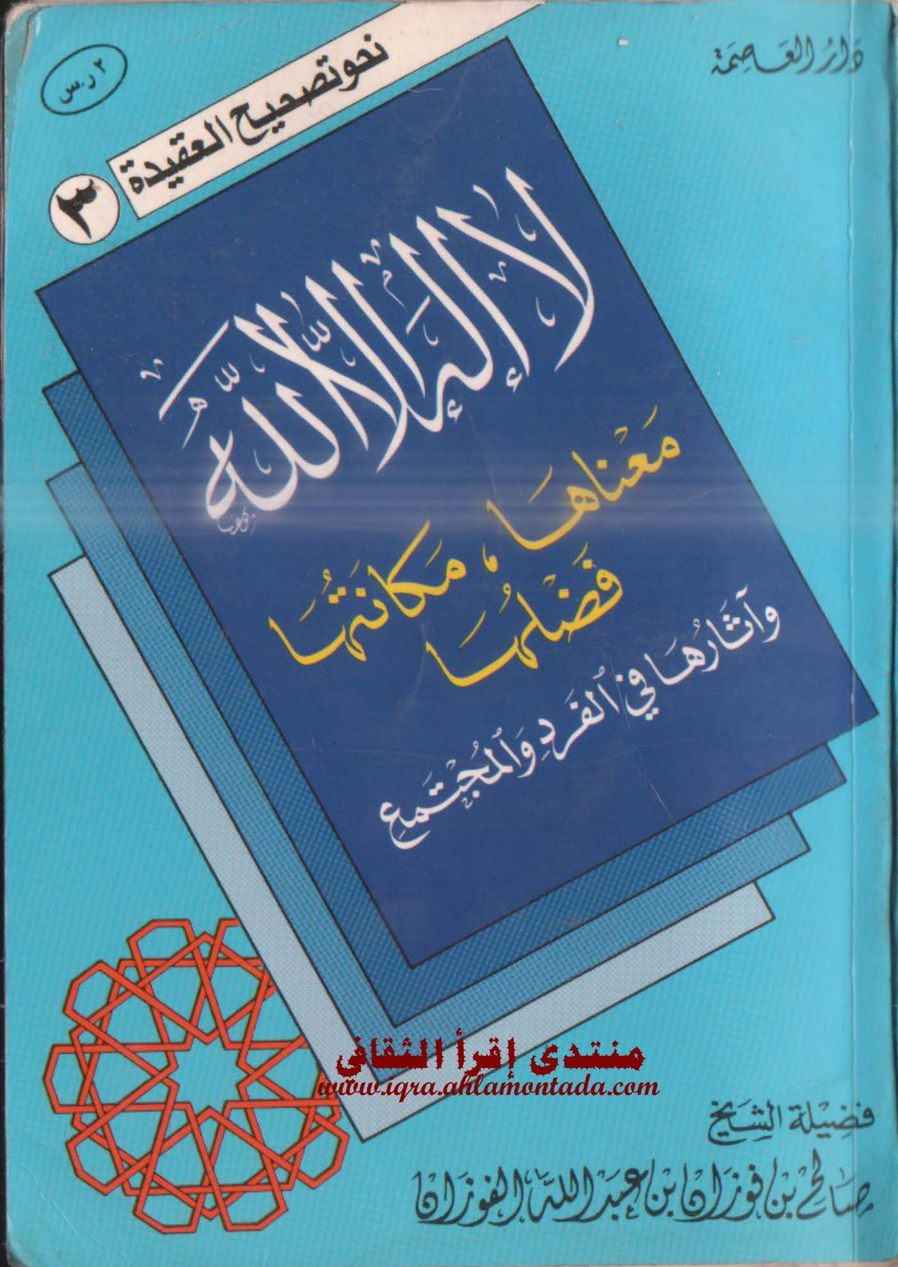

دار العاصمة
نحو تصحيح العقيدة ٣
٢ ر.س
لا إله إلا الله
معناها
مكانتها
فضلها
وآثارها في الفرد والمجتمع
فضيلة الشيخ
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

لا إلـه إلا اللـه

معناها مقتضاها آثارها في الفرد والمجتمع

بقلم

فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية
١٤١٣هـ

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينهُ ونَستغفره، ونتوبُ اليهِ ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهدُ أنَ لا الهَ إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَ محمدًا عبدُه ورسولهُ، ﷺ وعلى آله وأصحابه، وكل من اتبعه وتمسَّك بسنته إلى يومِ الدين. . .

أما بعد:

فإنَّ الله سبحانه وتعالى أمَرَنَا بذكره وأثنى على الذاكرين ووعـدَهم أجرًا عظيمًا فأمر بذكرِه مطلقًا، وبعد الفراغ من العبادات. . قال تعالى:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُواْ الله قِيَاماً وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُم﴾(١)

وقال:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ الله كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾(٢).

---

(١) الآية من سورة النساء رقم (١٠٣).

(٢) الآية من سورة البقرة رقم (٢٠٠).

وأمر بذكره أثناء مناسكِ الحجّ خاصة فقال تعالى:

﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِن عَرَفاتٍ فَاذكُرُوا الله عِندَ المَشعَرِ الحَرَامِ﴾[٣].

وقال تعالى:

﴿وَيَذْكُرُوا اسمَ الله في أيَّامٍ معلُوماتٍ عَلَى مَارَزَقَهُم من بهِيمَةِ الأَنعامِ﴾[٤].

وقال تعالى:

﴿وَاذكُرُوا الله فِي أيَّامٍ معدودات﴾[٥]

وشرع إقامة الصلاة لذكره فقال.

﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِى﴾

وقال النبي ﷺ: «أيام التشريقِ أيامُ أكلٍ وشُربٍ وذكر لله»[٦]. . وقال تعالى:

---

(٣) الآية من سورة البقرة رقم (١٩٨).

(٤) الآية من سورة الحج رقم (٢٨).

(٥) الآية من سورة البقرة (٢٠٣).

(٦) رواه مسلم.

﴿يَاأَيُّها الذينَ آمنوُا آذكُرُوا الله ذِكرًا كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكرَةً وَأصِيلاً﴾[7].

ولَمَّا كانَ أفضلُ الذكرِ: لا اله الا الله وحدَهُ لاشَريكَ له ـ كما ورد عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «خيرُ الدُّعاءِ دعاءُ عرفة وخيرُ ماقلتُ أنا والنَّبيُّون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قدير»[8] ولما كانت هذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله) لها هذه المنزلة العالية من بين أنواع الذكر ويتعلق بها أحكامٌ ولها شروطٌ ولها معنى ومقتضى، فليست كلمة تُقالُ باللسانِ فقط ـ لَمّا كان الأمر كذلك آثرتُ أن تكون موضوع حديثي راجياً من الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أهلِها المُستمسكين بها والعارفين لمعناها، العاملين بمقتضاها ظاهراً وباطناً.

وسيكون حديثي عن هذه الكلمة في حدود النقاط التالية:

مكانةُ لا إله إلا الله في الحياة، وفضلُها، وإعرابُها،

---

(٧) الأيتان من سورة الأحزاب رقم (٤١-٤٢).

(٨) رواه الترمذي.

وأركانها وشروطُها، ومعناها ومقتضاها، ومتى ينفع الانسانَ التلفظُ بها، ومتى لا ينفعه ذلك، وآثارُها فأقول مستعينًا بالله تعالى:

١- مكانة لا إله إلا الله

في الحياة إنها كلمة يعلنها المسلمون في أذانهم واقامتهم وفي خُطَبِهم ومُحَادَثَاتِهم وهي كلمةٌ قامت بها الأرضُ والسمواتُ، وخُلقت لأجلها جميعُ المخلوقات وبها أرسل الله رُسلَه وأَنزلَ كتُبَه وشَرَعَ شرائعه، ولأجلِهَا نُصبت الموازينُ وَوُضعت الدواوينُ وقام سوقُ الجنةِ والنار، وبها انقسمت الخليقةُ إلى مؤمنين وكفار، فهي منشأ الخلقَ والأمر والثواب والعقاب، وهي الحقُّ الذي خُلقت له الخليقةُ، وعَنْهَا وعن حقوقِها السؤال والحساب وعليها يقعُ الثوابُ والعقابُ، وعليها نُصبت القبلةُ، وعليها أُسست المِلَّةُ، ولأجلها جُردت سيوفُ الجهاد، وهي حقُّ الله على جميعِ العبادِ، فهي كلمةُ الإسلامِ، ومفتاحُ دارِ السلامِ، وعنها يُسال الأولون والآخرون... فلا تزول قدما العبدِ بينِ يدي الله حتى يُسألَ عن مسألتين: (ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين)، وجواب الأولى بتحقيق لا إله إلا الله

معرفة واقراراً وعملاً. وجواب الثانية بتحقيق أن محمداً رسول الله معرفة وانقيادا وطاعة)[٩].

- هذه الكلمةُ هي الفارقةُ بين الكفرِ والإسلام، وهي كلمة التقوى. والعروة الوثقى وهي التي جعلها ابراهيم ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١٠]. وهي التى شهد الله بها لنفسه وشهدت بها ملائكته وأولوا العلم من خلقه، قال تعالى:

﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١١].

وهي كلمة الإخلاص وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من الشرك، ولأجلها خُلِقَ الخلق كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١٢].

---

(٩) زاد المعاد لابن القيم (١/٢).

(١٠) من الآية (٢٨) من سورة الزخرف.

(١١) سورة آل عمران الآية (١٨) وأنظر مجموعة التوحيد (١٠٥، ١٦٧).

(١٢) من الآية (٥٦) من سورة الذاريات.

- ولأجلها أُرسلت الرُّسلُ وأنزلت الكُتُبُ، كما قال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِله إِلاَّ أَنَا فَاعبُدُونِ﴾(١٣)

وقال تعالى:

﴿يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّه لاَ إِله إِلاَ أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾(١٤)

قال ابن عُيينه: ما أنعم الله على عبدٍ من العبادِ نعمةً أعظم من أن عرَّفهم لا إله إلا الله. وإن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارِدِ لأهل الدنيا(١٥)، فمن قالها عُصم مالهُ ودمهُ، ومن أباهَا فمالهُ ودمُه هَدَر، ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبَدُ من دونِ الله حُرِّم مالهُ ودمهُ وحسابهُ على الله»(١٦) وهي أول ما يُطلبُ من الكفارِ عندما يُدعون إلى الإسلامِ فان النبي ﷺ لما بعثَ

---

(١٣) من الآية (٢٥) من سورة الأنبياء.

(١٤) من الآية (٢) من سورة النحل.

(١٥) كلمة الإخلاص لابن رجب ص ٥٢-٥٣.

(١٦) رواه مسلم في الايمان برقم (٢٣).

معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهلِ الكتابِ فليكنَ أوّلُ مَا تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله» الحديث أخرجاه في الصحيحين[17].

وبهذا تعلم مكانتَها في الدين وأهميتَها في الحياةِ وأنها أول واجب على العبادِ لأنها الأساس الذي تُبنى عليه جميعُ الأعمال.

٢ ـ فضل لا إله إلا الله:

فلها فضائل عظيمة ولها من الله مكانـة، من قالها صادقًا أدخله الله الجنةَ. ومن قالها كاذبًا حقنت دمه وأحرزت ماله في الـدنـيا وحـسـابُـه على الله عزَّ وجلَّ، وهي كلمةُ وجيزة اللفظ قليلةُ الحروفِ خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان ـ فقد روى ابن حبان والحاكمُ وصححه عن أبي سعيد الخُدْريِ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: قال موسى يارب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به قال يا موسى قل لا إله إلا الله قال كل عبادك يقولون هذا قال يا موسى لو أنَّ السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة

---

(١٧) رواه البخاري (٣/٢٥٥) ومسلم في الإيمان برقم (١٩).

ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله»[18] فالحديث يدل على أن لا إلـه إلا الله هي أفضل الذكر، وفي حديث عبدالله بن عمر مرفوعًا: «خيرُ الدعاءِ دعاء يوم عرفة، وخير ماقلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك ولـه الحمد وهو على كل شيء قدير» رواه - احمدُ والـتِّرمذي[19]، ومما يدلُ على ثقِلها في الميزانِ أيضاً ما رواه الـترمـذيُ وحسَّنـه، والنسائيُ والحاكمُ وقال: صحيح على شرط مسلم. عن عبدالله بن عمرو: قال النبي ﷺ: «يصاحُ برجـلٍ من أمتي على رؤوس الخلائقِ يومَ القيامةِ فينشرُ له تسعـةٌ وتسعـون سجلاً كل سجل منها مد البصرِ ثم يقال أتنكرُ من هذا شيئاً، فيقولُ لا يارب، فيقال: ألك عذرٌ أو حسنـة فيهـاب الرجل فيقول لا - فيقال بلى إن لك عندنا حسنات، وانه لا ظلم عليك فيُخرجُ له بطاقةٌ فيها أشهدُ أن لا إلـه إلا الله. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول يارب ما هذه البـطاقـة مع هذه السجـلات فيقال أنك لا

(١٨) رواه الحاكم (١ /٥٢٨) وابن حبان برقم (٢٣٢٤) مورد الظمآن

(١٩) الترمذي في الدعوات رقم (٣٥٧٩).

تُظلم، فتوضع السجلات في كفةٍ والبطاقةُ في كفةٍ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»[٢٠] ولهذه الكلمةِ العظيمةِ فضائل كثيرة ذكر جملة منها الحافظُ بن رجب في رسالتِه المسماة (كلمةُ الإخلاصِ) واستدل لكل فضيلة ومنها:

أنها ثمن الجنة، ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة وهي نجاة من النار: وهي توجب المغفرة، وهي أحسن الحسنات، وهي تمحو الذنوب والخطايا وهي تجدد ماغُرِسَ من الايمان في القلب وترجُح بصحائفِ الذنوبِ، وهي تخرق الحُجُبَ حتى تصلَ إلى الله عزَّ وجلَّ وهي الكلمة التي يُصدِّق الله قائلها وهي أفضلُ ما قاله النبيون، وهي أفضلُ الذكرِ، وهي أفضل الأعمالِ وأكثرها تضعيفا وتعدل عتق الرقابِ وتكون حرزاً من الشيطان، وهي أمانٌ من وحشةِ القبر وهولِ الحشرِ، وهي شعارُ المؤمنين اذا قاموا من قُبورِهم. ومن فضائلها أنها تفتحُ لقائِلها أبوابَ الجنةِ الثمانية يدخل من أيها شاء، ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار

---

(٢٠) رواه الترمذي رقم (٢٦٤١) في الايمان والحاكم (١/٥ ـ ٦) وغيرهما.

بتقصيرهم في حقوقها فانهم لابد أن يخرجوا منها، هذه عناوين الفضائل التي ذكرها إبنُ رجب في رسالته واستدل لكل واحدة منها[٢١].

٣ - إعرابها وأركانها وشروطها

ا - اعرابها

إذا كان فهمُ المعنى يتوقف على معرفة اعراب الجمل - فان العلماء رحمهم الله قد اهتموا باعراب لا إلهَ إلا الله - فقالوا: لا - نافية للجنس - وإلهَ اسمهَا مبنى معها على الفتح وخبرهُا محذوفٌ تقديرهُ: (حق) أي لا اله حق، والا الله استثناء من الخبر المرفوع - والإله معناه: المألوه بالعبادة - وهو الذي تألههُ القلوبُ وتقصدُه رغبةً اليه في حصولِ نفعٍ أو دفعِ ضرَر. ويغلطُ من قدَّر خبرهَا بكلمةِ: (موجود أو معبود) فقط، لأنه يوجد معبودات كثيرة من الأصنامِ والأضرحةِ وغيرها ولكن المعبود بحقٍ هو الله. وما سواه فمعبودٌ بالباطلِ وعبادتهُ باطلةٌ، وهذا مقتضى رُكنَي لا إله الا الله.

(٢١) كلمة الاخلاص لابن رجب ٥٤ - ٦٦.

ب ـ ركنا لا إله الا الله:

لها ركنان: الركنُ الأولُ النفيُ ـ والركنُ الثاني الاثباتُ.
والمرادُ بالنفْيِ نفيُ الإلهيةِ عمَّا سوى الله تعالى من سائرِ المخلوقاتِ.

والمرادُ بالاثباتِ اثباتُ الإلٰهيةِ لله سبحانَه فهو الإلٰهُ الحقُ ـ وما سواه من الآلهةِ التي اتخذَها المشركون فكلها باطلةٌ.
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الحَقُّ وأنَّ ما يدعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الباطِلُ﴾[٢٢].

قال الامامُ ابنُ القيمِ: فدلالة لا إله إلا الله على إثباتِ إلهيتِه أعظمُ من دلاَلةِ قولِ: الله إلٰهٌ ـ وهذا لأن قول (الله إلٰه) لا ينفي إلهية ما سواه بخلاف قول: لا إله إلا الله فإنه يقتضي حصر الألوهيةِ ونفيها عمّا سواه، وقد غلط غلطاً فاحشا كذلك من فسر الالٰه بأنه القادرُ على الاختراعِ فقط.

قال الشيخُ سليمانُ بن عبدالله في شَرح كتاب التوحيد ـ فان قيل قد تبين معنى الإلٰه والإلٰهية فما الجواب عن قول من قال بأن معنى الإلٰه القادر على الاختراع ونحو هذه العبارة ـ

---

(٢٢) من الآية (٦٢) من سورة الحج.

قيل الجواب من وجهين أحدهما أن هذا قولٌ مُبتدَع لا يعُرفُ أحدٌ قاله من العلماء ولا من أئمَّةِ اللغة ـ وكلامُ العلماءِ وأئمةِ اللغة هو معنى ماذَكَرنا كما تقدم[٢٣] فيكون هذا القولُ باطلًا.

الثاني: على تقديرِ تسليمِه فهو تفسير باللازم للإله الحق، فان اللازم أن يكون خالقًا قادرًا على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك فليس بإلهٍ حق وَإن سُمِّي إلها، وليس مراده أن مَن عرفَ أن الإلهَ هو القادر على الاختراع فقد دخل في الإسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام فإن هذا لا يقوله أحد، لأنه يستلزم أن يكون كُفَّارُ العرب مسلمين، ولو قدر أنَّ بعضَ المتأخرين أَرادَ ذَلِك فهو مخطيء يُردُّ عليه بالدلائلِ السمعيةِ والعقليةِ[٢٤].

د ـ وأما شروط لا إله إلا الله:

فإنها لا تنفع قائلَها ـ الا بسبعة شروط:

الأول: العلمُ بمعناها نفيًا واثباتاً. فمن تلفظ بها وهو لا

(٢٣) وهو ماذكرته هنا في أركان لا إله إلا الله.

(٢٤) تيسير العزيز الحميد ص ٨٠.

يعرف معناها ومقتضاها فانها لا تنفعه لأنه لم يعتقدْ ما تدلُّ عليه ـ كالذي يتكلم بلغةٍ لا يفهمها.

الثاني: اليقينُ وهو كمالُ العلمِ بها المنافي للشكِّ والريب.

الثالث: الإخلاصُ المنافي للشركِ. وهو ما تدل عليه لا إله إلا الله.

الرابع: الصدقُ المانعُ من النفاق. فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم غير معتقدين لمدلولها.

الخامس: المحبةُ لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرورُ بذلك. بخلافِ ما عليه المنافقون.

السادس: الانقياد بأداء حقوقها وهي الأعمال الواجبة اخلاصاً لله وطلباً لمرضاتِه. وهذا هو مقتضاها.

السابع: القبولُ المنافي للردِّ[٢٥] وذلك بالانقيادِ لأوامرِ الله وترك مانهى عن.

وهذه الشروط قد استنبطها العلماءُ من نصوصِ الكتابِ والسنةِ التي جاءت بخصوصِ هذه الكلمة العظيمة وبيان

---

(٢٥) فتح المجيد ص ٩١.

حقوقِها وقيودها وأنها ليست مجرد لفظ يقال باللسانِ.

٤ ـ معنى هذه الكلمة ومقتضاها

إتضحَ مما سبقَ أن معنى لا إله إلا الله ـ لا معبود بحق إلا إله واحد وهُو الله وحدَه لا شريكَ له، لأنه المستحِقُّ للعبادةِ فتضمنت هذه الكلِمة العظِيمة أنَّ ما سوى الله مِنْ سائرِ المعبوداتِ ليسَ بإلهٍ حقٍ وأنَّهُ باطل. لأنه لا يستحِقُّ العبادة.

ولهذا كثيراً ما يَردُ الأمرُ بعبادةِ الله مقرونًا بنفيِ عبادة ما سواه، لأنَّ عبادة الله لا تصح مع إشراكِ غيرِه معه ـ قال تعالى:

﴿وَٱعبُدُواْ الله وَلاَ تُشرِكُوا به شيئا﴾[٢٦].

وقال تعالى:

﴿فَمَن يَكفُر بالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُروَة الوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢٧].

---

(٢٦) الآية (٣٦) من سورة النساء.

(٢٧) الآية (٢٥٦) من سورة البقرة.

وقال تعالى:

﴿وَلَقَد بَعَثنَا في كُل أُمَّةٍ رسُولاً أنِ اعبُدُوا الله وآجتَنبِوُا الطَّاغُوتَ﴾[٢٨].

وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حُرِّمَ دمُه ومالُه»[٢٩].

وكل رسول يقول لقومه:

﴿آعبُدُوا الله مَالَكُم مِن إلهٍ غَيْرُهُ﴾[٣٠]

إلى غير ذلك من الأدلةِ قال الامامُ ابنُ رجب رحمه الله: وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبدِ: لا إله إلا الله يقتضي أن لا إلـه له إلا الله ـ والإله هو الذي يطاع فلا يُعصَى هيبةً له واجلالاً، ومحبةً وخوفاً ورجاءً وتوكلًا عليه وسؤالاً منه ودعاءً له ولا يصلح ذلك كله الا لله عزَّ وجلَّ.

ولهـذا لما قال النبي ﷺ لكفارِ قريش: «قولوا لا إله إلا الله، قالوا:

---

(٢٨) الآية (٣٦) من سورة النحل.

(٢٩) صحيح مسلم رقم (٢٣) كتاب الايمان

(٣٠) الآية (٥٩) من سورة الأعراف.

﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً واحِداً إنَّ هذا لَشيْءٌ عُجَابٌ﴾[٣١].

ففهموا من هذِه الكلمة أنها تُبطل عُبادةَ الأصنامِ كلها وتحصرُ العِبَادَةَ لله وحده وهم لا يريدون ذلك، فتبين بهذا المعنى أنَّ معنى لا إله إلا الله ومقتضاها إفراد الله بالعبادةِ وترك عبادة ما سواه، فإذا قال العبدُ: لا إله إلاّ الله فقد أعلنَ وجوبَ إفرادِ الله بالعبادةِ وبطلان عبادة ما سواه من الأصنامِ والقبور والأولياء والصالحين، وبهذا يبطلُ ما يعتقده عُبَّادُ القبورِ اليوم وأشباههم من أن معنى لا إله إلا الله هو الاقرار بأن الله موجودٌ أو أنه هو الخالقُ القادرُ على الاختراعِ وأشباه ذلك. أو أن معناها لا حاكمية إلا لله ويظنون أن من اعتقد ذلك وفسر به لا إله إلا الله فقد حقق التوحيدَ المطلقَ ولو فعلَ ما فعل من عبادةِ غيرِ الله والاعتقاد بالأمواتِ والتقرب اليهمِ بالذبائحِ والنذورِ والطوافِ بقبورِهم والتبركِ بتربتهِم، وما شعر هؤلاء أن كفار العرب الأولين يشاركونهم في هذا الاعتقاد ويعرفون أن الله هو الخالقُ القادرُ على الاختراعِ ويقرون بذلك وأنهم ما عبدوا غيرَه الا لزعمهم أنهم يقربونهم إلى الله زُلفى لا أنهم

---

(٣١) الآية (٥) من سورة ص.

يَخلقـون ويَرزقـون والحـاكميةُ جزءٌ من معنى لا إله إلا الله وليست هي معنــاهــا الحقيقي المـطلوب فلا يكفي الحكمُ بالشريعةِ في الحقوقِ والحدودِ والخصوماتِ مع وجودِ الشركِ في العبادةِ.

ولو كانَ معنى لا إله إلا الله ما زعمهُ هؤلاء لم يكُن بين الرسولِ ﷺ وبين المشركين نزاعٌ بل كانوا يبادرون إلى إجابةِ الــرســولِ ﷺ إذا قال لهم أقـروا بأنَّ الله هو القـادرُ على الاخـتراعِ أو أقروا أن الله موجودٌ. أو قال لهم تحاكموا إلى الشريعةِ في الدماءِ والأموالِ والحقوقِ وسكت عن العبادةِ. لكن القوم وهم أهل اللسانِ العربي فهموا أنهم إذا قالوا (لا إله إلا الله) فقد أقروا ببطلانِ عبادة الأصنامِ وأن هذه الكلمةَ ليست مجرد لفظ لا معنى له، ولهذا نفروا منها وقالوا:

﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا واحداً إنَّ هذا لَشيَءٌ عُجَابٌ﴾[٣٢].

كما قال الله عنهم:

﴿إنَّهُم كانُواْ إذَا قِيلَ لَهُم لَا إلـه إلَّا الله يَستَكبِرُونَ •

---

(٣٢) من الآية (٥) من سورة ص.

وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُواْ آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[٣٣].

فعرفوا أن لا إلهَ إلا الله تُقتضي تركَ عبادة ما سوى الله وإفـرادَ الله بالعبـادةِ، وأنهم لو قالوها واستمروا على عبادةِ الأصنام لتناقضوا مع أنفسِهم وهم يأنفون من التناقضِ، وعُبَّاد القُبورِ اليومَ لا يأنفون من هذا التناقضِ الشنيعِ فهم يقولون لا إله إلا الله، ثم ينقضونها بعبادةِ الأمواتِ والتقربِ إلى الأضرحة بأنواعٍ من العبـاداتِ فتباً لمن كان أبوجهل وأبولهب أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله.

والحـاصـلُ أن من قالَ هذه الكلمة عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا مِن نَفْيِ الشركِ وإثباتِ العبادةِ لله مع الاعتقادِ الجازمِ لما تضمنته والعملِ به فهو المسلمُ حقًا، ومن قالها وعمل بها وبمقتضاها ظاهرًا من غير اعتقادٍ لمَا دلت عليه فهو المنافقُ، ومن قالها بلسانِه وعملَ بخلافِها من الشركِ المنافي لها فهو المشركُ المتناقضُ فلابد مع النطقِ بهذه الكلمة من معـرفةِ معناها، لأن ذلك وسيلة للعمل بمقتضاها قال

---

(٣٣) الآيتان: (٣٥، ٣٦) من سورة الصافات.

تعالى: ﴿إلَّا مَن شَهِدَ بِالحَقِ وَهُم يَعلَمُونَ﴾ [الآية ٨٦ من سورة الزخرف].

والعمل بمقتضاها هو عبادةُ الله والكفرُ بعبادةِ ما سواه ـ وهو الغايةُ المقصودةُ من هذهِ الكلمةِ؛ ومن مقتضى لا إله إلا الله قبولُ تشريعِ الله في العباداتِ والمعاملاتِ والتحليلِ والتحريمِ، ورفضُ تشريع من سواه ـ قال تعالى:

﴿أم لَهُم شُرَكَـؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِنَ ٱلدِّينِ مَالَم يَأذَن بِهِ الله﴾(٣٤).

فلابـد من قبـولِ تشريع الله في العبـاداتِ والمعاملاتِ والحكمِ بين الناسِ فيما اختلفوا فيه في الأحوالِ الشخصيةِ وغيرِها ورَفضِ القوانين الوضعية. ومعنى ذلك رفضُ جميع البدعِ والخُرافات التي يبتدعُها ويروجُها شياطينُ الأنس والجنِّ في العبـاداتِ ومن تقبل شيئا من ذلك فهو مشرك في الطاعة كما قال في هذه الآية:

﴿أم لَهُم شُرَكَـؤُاْ شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدِّين مَالَم يَأذَن بِهِ الله﴾.

---

(٣٤) سورة الشورى الآية (٢١).

وقال تعالى: ﴿وَإِن أَطَعتُمُوهُم إِنَّكُمْ لَمُشرِكُونَ﴾[٣٥]

وقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحبَارَهُم ورُهبَانَهُم أربَاباً من دُونِ الله﴾[٣٦].

وفي الحديثِ الصحيحِ أن النبيَّ ﷺ: تلى هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه فقال: يارسول الله لسنا نَعبدهم، قال: «أليس يُحِلُّون لكم ما حرَّم الله فتحلونه، ويحرِّمون ما أحلَّ الله فتُحرِّمونه، قال: بلى - قال النبي ﷺ فتلك عبادتهم»[٣٧].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: فصارت طاعتُهم في المعصيةِ عبادةً لغيرِ الله وبها اتخذوهم أرباباً كما هو الواقع في هذه الأمة. وهذا من الشرك الأكبر. المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله . . . فتبين أنَّ كلمة الاخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلول هذه الكلمة[٣٨].

---

(٣٥) سورة الأنعام الآية (١٢١).

(٣٦) سورة التوبة الآية (٣١).

(٣٧) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٤) في التفسير.

(٣٨) فتح المجيد (١٠٧).

وكذلك يجب رفض التحاكم إلى القوانين الوضعية لأنه يجب التحاكم إلى كتابِ الله وترك التحاكم إلى ما عداه من النظم والقوانين البشرية . . .

قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[39].

وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُم فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي﴾[40].

وقد حكمَ سبحانَه بكفرِ من لم يحكم بما أنزل الله وبظلُمهِ وفسقِه. ونفى عنه الايمانَ مما يدل على أن الحكمُ بغير ما أنزل الله اذا كان الحاكم به يستبيحه أو يرى أنه أصلحِ من حكمِ الله وأحسن فهذا كُفْرٌ وشِرْكٌ ينافي التوحيد ويناقضُ لا إله إلا الله تمام المناقضة ـ وإن كان لا يستبيح ذلك ويعتقد أن حكم الله هو الذي يجبُ الحكم به ـ ولكن حَمَلَهُ الهوى على مخالفتِه فهذا كَفْرٌ أصغر وشركٌ أصغر يُنقِصُ معنى لا إله إلا الله ومقتضاها.

---

(٣٩) سورة النساء الآية (٥٩).

(٤٠) سورة الشورى الآية (١٠).

إذاً ـ فلا إله إلا الله منهجٌ متكاملٌ يجب أن يسيطرَ على حياةِ المسلمين وجميعِ عباداتِهم وتصرفاتِهم فليست لفظًا يردد للبركةِ والأورادِ الصباحيةِ والمسائيةِ بدون فهم لمعناه وعملٍ بمقتضاه والسير على منهجه كما يظن كثيرٌ ممن يتلفظون بها بألسنتِهم ويخالفونها في معتقداتِهم وتصرفاتِهم.

وَمِن مقتضى لا إله إلا الله اثباتُ أسماءِ الله وصفاته التى سَمَّى ووصَفَ بها نفسَه أو سماه ووصفه بها رسولُهُ ﷺ وقال الله تعالى: ﴿ولله ٱلأسمَاءُ الحُسنَى فَٱدعُوهُ بهَا وَذَرُواْ ٱلَّذينَ يُلحِدُونَ فِي أسمَائه سَيُجزَونَ مَا كانُواْ يَعمَلُونَ﴾[41].

قال في فتح المجيد: وأصل الالحاد في كلامِ العرب العدول عن القصدِ والميل والجور والانحراف وأسماء الرب تعالى كلها أسماء وأوصاف تعرف بها تعالى إلى عبادِه ودلت على كمالِه جَلَّ وعلا.

وقال رحمه الله[42] فالإلحاد فيها إمَّا بِجَحدِهَا وإنكارها، وإمَّا

---

(٤١) سورة الأعراف الآية (١٨٠).

(٤٢) فتح المجيد ص ٥٣٧ ـ ٥٣٨ وانظر مدارج السالكين (١/ ٢٩ ـ ٣٠) لابن القيم.

بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحقِ بالتأويلاتِ، وإما أن يجعلها أسماءَ لهذه المخلوقات كالحاد أهل الإتحاد فانهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها. . انتهى.

فَمَنْ ألحدَ في أسماءِ الله وصفاتِه بالتعطيلِ والتأويلِ أو الرفض ولم يعتقدْ ما دلت عليه من المعاني الجليلةِ من الجهميةِ والمعتزلةِ والأشاعرةِ فقد خالف مدلول لا إله إلا الله ـ لأن الاله هو الذي يُدعى ويتُوسل اليه بأسمائه وصفاتِه ـ كما قال تعالى: ﴿فادعوه بها﴾ والذي ليس له أسماء ولا صفات كيف يكون إلهًا وكيف يُدعى وبماذا يُدعى. .

قال الامام ابن القيم رحمه الله: تنازعَ الناسُ في كثيرٍ مِنَ الأحكامِ ولم يتنازعوا في آياتِ الصفاتِ وأخبارِها في موضعٍ واحدٍ بل اتفق الصحابةُ والتابعون على اقرارها وامرارها مع فهم معانيها واثبات حقائقها، وهذا يدلُّ على أنَّها أعظمَ النوعين بيانًا وأن العنايةَ ببيانها أهمُّ، لأنها من تمامِ تحقيق الشهادتين واثباتُها من لوازمِ التوحيدِ فبيَّنَهَا الله سبحانه وتعالى ورسولُه بيانًا شافيًا لا يقعُ فيه لبس.

وآيات الأحكام لا يكادُ يفَهم معانيها الا الخاصة مِنَ الناس وأما آيات الصفاتِ فيشترِكُ في فهمِ معناها الخاصُ والعامُ، أعني فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية(٤٣).

وقال أيضاً: وهذا أمر معلومٌ بالفِطَر والعقولِ السليمةِ والكُتبُ السماويةِ أن فاقدَ صفاتِ الكمال لا يُكونُ الهًا ولا مدبرًا ولا رباً، بل هو مذموم معيب ناقص، ليس له الحمد لا في الأولى ولا في الآخرةِ، وانما الحمدُ في الأولى والآخرةِ لمن له صفات الكمال ونعوت الجلال التي لأجلها استحقَ الحمد، ولهذا سمَّى السلفُ كُتبَهم التي صَنَّفُّوها في السنةِ واثباتِ صفاتِ الربِّ وعلوه على خلقه وكلامه وتكليمه توحيدًا، لأن نفي ذلك وانكاره والكفر به انكار للصانع وجحد له، وإنَّما توحيده اثبات صفات كماله وتنزيهه عن التشبيه والنقائض(٤٤).

---

(٤٣) مختصر الصواعق المرسلة (١/١٥).

(٤٤) مدارج السالكين (١/٢٦).

٥ ـ متى ينفع الانسان قول لا إله إلا الله ومتى لا ينفعه ذلك

سبقَ أن قلنا أن قولَ لا إله إلا الله لابُدَّ أن يكونَ مصحوبًا بمعـرفـةِ معنـاها والعملِ بمقتضاها ـ ولكن لَمَّا كان هناك نصوصٌ قد يتُوهم منها إنَ مجردَ التلفظِ بها يكفي وقد تعلَّق بهذا الوهمِ بعضُ الناسِ . اقتضى الأمرُ إيضاحَ ذلك لازالةِ هذا الوهم عمن يريدُ الحقَ، قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله على حديث عتبان . . الذي فيه: «فان الله حرَّمَ على النَّارِ من قال لا إله الا الله يبتغي بذلك وجهَ الله»[٤٥] قال: اعلم انه قد وردت أحاديثُ ظاهرها أنه من أَتى بالشهادتين حرم على النَّارِ كهذا الحديث وحدَيث أَنس قالَ: «كانَ النبيُّ ﷺ ومعـاذ رديفـهُ على الرحلِ فقالَ: يا معاذ: قال لَبيْكَ يارسولَ الله وسَعْدَيْك، قالَ: «ما مِن عبدٍ يشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله الا حرَّمه الله على النارِ»[٤٦] ولمسلم عن عُبَادَة مرفوعاً: «ومن شهد أن لا اله إلا الله وأنَّ محمدًا

---

(٤٥) رواه البخاري ١١/٢٠٦ ومسلم برقم (٣٣).

(٤٦) رواه البخاري ١/١٩٩.

عبدهُ ورسولُه حرَّمه الله على النارِ»[٤٧] ووردت أحاديثُ فيها أنَّ من أتى بالشَّهادتين دخلَ الجنةَ وليس فيها أنَّه يحرمُ على النارِ، منها حديثُ عُبَادَة الذي تقدَّم قريباً وحديث أبي هريرة أنهم كانُوا مع النبيِّ ﷺ في غزوةِ تبوك ـ الحديث وفيه ـ فقال رسولُ الله ﷺ : **«أشهدُ أن لا إله إلا الله وأني رسولُ الله لا يلقى الله بها عبدٌ غيرُ شاكٍ فيُحجب عنِ الجنةِ»**رواه مسلم[٤٨] .

ماقاله شيخ الاسلام ابن تيمية:

قال : وأَحسن ما قِيلَ في معناه ما قالَه شيخُ الإسلام ابنُ تيمية وغيره : ان هذه الأحاديث انما هي فيمن قالها ومات عليها . كما جاءت مقيدة وقالها خالصًا من قلبه مستيقنًا بها قلبُه غير شاك فيها بصدقٍ ويقينٍ ، فان حقيقة التوحيد إنجذاب الروح إلى الله جملةً فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبِه دخل الجنة لأن الإخلاص هو انجذاب

(٤٧) صحيح مسلم (١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) بشرح النووي .

(٤٨) صحيح مسلم مع شرح النووي (١/ ٢٢٤) .

القلب إلى الله تعالى بأن يتوبَ من الذنوب توبةً نصوحًا فاذا مات على تلك الحالِ نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديثُ بأنَّهُ يخرج من النَّارِ مَن قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخيرِ ما يزنُ شعيرة وما يزنُ خردلة وما يزنُ ذرة، وتواترت بأَن كثيرا ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرَّم على النَّارِ أن تأكل أثر السجود من ابن آدم فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرم على النار مِنْ قال لا إله إلا الله، ومن شهدَ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، لكن جاءت مقيدةً بالقيودِ الثقالِ وأكثر من يقولها لا يعرف الاخلاصَ ولا اليقينَ ومن لا يعرفُ ذلك يُخشى عليه أن يُفتن عنها عند الموتِ فيحُالُ بينه وبينها، وأكثر من يقولها يقولها تقليدا وعادة لم يخالط الايمانُ بشاشةَ قلبه، وغالب من يُفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث «سمعت الناس يقولون شيئا فقلته» وغالب أعمال هؤلاء انما هو تقليد واقتداء بأمثالهم وهم أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إنَّا وجَدْنَا آباءَنَا عَلَى أُمةٍ وإنَّا على اثارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾(٤٩)

---

(٤٩) الآية (٢٣) من سورة الزخرف.

وحينئـذ فلا منـافاة بين الاحاديث فانه اذا قالها باخلاصٍ ويقينٍ تامٍ لم يكن في هذه الحال مصراً على ذنب أصلاً، فان كمال اخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب اليه من كل شيء فإذًا لا يبقى في قلبه إرَادَةٌ لِمَا حرَّم الله ولا كراهيةٌ لِمَا أمر الله وهذا هو الذي يحرم على النار وان كانت له ذنوب قبل ذلك، فان هذا الأيمان وهذه التوبة وهذا الاخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنبا إلا يُمحَى كما يُمحَى الليلُ بالنهارِ. انتهى كلامه رحمه الله(٥٠).

ماقاله الشيخ محمد بن عبدالوهاب(٥١):

قال: ولَهم شُبهة أُخرى يقُولون أن النبي ﷺ أنكَر على أسامة قتلَ من قالَ لا إله إلا الله، وقال: (أقتلتَه بعد ما قال لا إلهَ إلا الله) وأحاديث أخرى في الكفِّ عمن قَالها، ومرادُ هؤلاءِ الجهلة أنَّ من قالَهَا لا يَكفر ولا يُقتل ولو فعل ما فعل، فيقال لهؤلاء الجُهّالِ معلوم أن رسولَ الله ﷺ قاتَلَ اليهودَ وسباهم

---

(٥٠) تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد ص ٦٦ ـ ٧٦.

(٥١) انظر مجموعة التوحيد ص ١٢٠ ـ ١٢١.

وهم يقولون لا إله إلا الله، وأصحاب رسولُ الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويُصَلُّون وَيَدَّعُون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب، وهؤلاء الجهلة مقِرُّون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من أركانِ الإسلامِ كفر وقُتِل ولو قالها فكيف لا تنفعه اذا جحد شيئًا من الفروع وتنفعه اذا جحد التوحيد الذي هو أصل دينِ الرُّسُل ورأسه ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الاحاديث.

وقال رحمه الله: فأما حديث أسامة فانه قتل رجلًا ادعى الإسلامَ بسبب أنه ظنَّ أنه. ما ادعاه إلا خوفًا على دمِه ومالِه، والرجل اذا أظهر الإسلام وجبَ الكفُّ عنه حتى يتبين منه ما يخالفُ ذلك وأنزلَ الله في ذلك:

﴿يَاأَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبتُم فِي سَبِيلِ الله فَتَبَيَّنُواْ﴾[٥٢].

أي فتثبتوا فالآيةُ تدلُّ على أنه يجب الكفُّ عنه والتثبتُّ فان تبين بعد ذلك ما يخُالفُ الإسلامَ قُتلَ لقوله: (فتبينوا) ولو كان لا يقتل اذا قالَها لم يكن للتثبُّتِ معنى، وكذلك الحديث

---

(٥٢) من الآية (٩٤) من سورة النساء.

الآخـر وأمثـالـه معنـاه ماذكـرناه من أن من أظهرَ الإسلامَ والتوحيدَ وجبَ الكفُّ عنه إلا إن تبين منه مايناقض ذلك . .

والدليل على هذا أن الرسولَ ﷺ الذي قال : «**أقتلتهَ بعدما قال لا إله الا الله**» وقال : «**أمرتُ أن أقاتلَ الناسِ حتى يقولوا لا إلـه إلا الله**» هو الـذي قال في الخـوارج (**أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتُهم لأقتلنَّهُمْ قتـل عاد**» مع كونهم من أكثـر النـاس تهليللا حتى إن الصحـابـة يحقرون أنفسهم عندهم ، وهم تعلموا العلمَ من الصحابةِ ، فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرةُ العبادةِ ولا ادعاء الإسلامِ لَمَّا ظهرَ منهم مخالفةُ الشريعةِ وكذلك ما ذكرناه من قتالِ اليهودِ وقتالِ الصحابة بني حنيفة .

ما قاله الحافظ بن رجب:

وقـال الحـافظ ابن رجب في رسـالتـه المسـماة : (كلمـة الاخـلاص)(٥٣) على قوله ﷺ أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن (لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسولُ الله) قال : ففهم

(٥٣) كلمة الإخلاص لابن رجب ص ١٣ ـ ١٤ .

عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة ـ وفهم الصديق أنه لا يُمنعُ قتالهُ الا بأداء حقوقها لِقَولِه ﷺ : «فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءهم الا بحقِّها وحسابهُم على الله ، » وقال : (الزكاة حق المال) وهذا الذي فهمه الصديق قد رواه عن النبي ﷺ صريحا غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر وأنس وغيرهما وأنه قال : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ واتَوُا ٱلزكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ .

كما دل قوله تعالى : ﴿فَإِن تَابُواْ وَاَقَامُواْ ٱلصَّلَاةَ واتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ على أن الأخوةَ في الدين لا تَثبتُ الا بأداءِ الفرائض مع التوحيدِ فان التوبةَ من الشركِ لا تحصل الا بالتوحيدِ فلمَّا قرر أبوبكر هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صوابًا فاذا عُلِم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقًا ، بل يعاقب باخلالهِ بحقٍّ من حقوقِ

الإسـلام فكـذلـك عقوبة الآخرة، وقال أيضا[٥٤]. وقالت طائفة من العلماء المراد من هذه الأحاديث أن التلفظَ بلا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومُقْتَضٍ لذلك.

ولكن المقتضى لا يعمل عملَه الا باستجماع شروطِه وانتفاءِ موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاءه لفوات شرط من شروطه أو لوجودِ مانع وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهُو الأظهر ـ ثُم ذكرَ عن الحسنِ البصرِى أنه قالَ: للفرزدق وهوُ يدفن امرأتَه: ما أعددت لهذا اليوم ـ قال: شهادةَ أن لا إله إلا الله منـذ سبعـين سنـة ـ قال الحسن: نِعم العـدة ـ لكن لِـلا إلـه إلا الله شروط فإياكَ وقذف المحصناتِ ـ وقيل للحسن: أن أناسًا يقولونُ من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال: من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضِها دخل الجنة ـ وقال وهب إبن منبِه لمن سأله: أليس لا اله إلا الله مُفتاح الجنةِ ـ قال: بلى ولكن ما مِن مفتاحٍ الاله أسنان فإن جئتَ بمفتاحٍ له اسنهان فُتح لك وإلا لم يُفتح لك...

وأظن أن في هذا القدر الذي نقلتهُ من كلامِ أهلِ العلمِ

(٥٤) في ص ٩ ـ ١١ من رسالة كلمة الاخلاص

كفاية في رد هذه الشبهة التي تعلق بها من ظن أن من قال لا إله الا الله لا يكفر ولو فعل ما فعل من أنواع الشركِ الأكبرِ التي تُمارَسُ اليومَ عند الأضرحةِ وقبورِ الصالحين مما يناقضُ كلمةَ لا إله إلا الله تمام المناقضة ويضادّها تمام المضادة، وهذه طريقةُ أهل الزَّيغ الذين يأخذون من النصوص المجملة ما يظنـون أنه حَجة لهم ويتركون ما يبينه ويوضحه النصوص المفصَّلة كحـال الـذين يؤمنـون ببعضِ الكتابِ ويكفرون ببعض وقد قال الله في هذا النوع من الناس:

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ • رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ انتَ الْوَهَّابُ • رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾(٥٥).

---

(٥٥) الآيات من (٧ ـ ٩) من سورة آل عمران.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه . . .

٦ ـ اثار لا إله إلا الله:

لهذه الكلمة اذا قيلت بصدقٍ وإخلاصٍ وعملٍ بمقتضاها ظاهرًا وباطناً آثارٌ حميدةٌ على الفردِ والجماعةِ من أهمّها:

١ ـ اجتماعُ الكلمةِ التي ينتجُ عنها حصول القوة للمسلمين والانتصارُ على عَدوِّهم لأنهم يدينون بدين واحد وعقيدةٍ واحدة كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾(٥٦).

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَافِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِم وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٥٧).

(٥٦) الآية رقم (١٠٣) من سورة آل عمران.

(٥٧) الآيتان رقم (٦٢ ـ ٦٣) من سورة الأنفال.

والاختلاف في العقيدة يسبب التفرق والنزاع والتناحر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾(٥٨).

وقال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾(٥٩).

فلا يجمع الناسَ سوى عقيدةُ الإيمانِ والتوحيد التي هي مدلول لا إله إلا الله واعتبر ذلك بحالة العرب قبل الإسلام وبعده.

٢ - توفر الامن والطمأنينة في المجتمعِ الموحِّدِ الذي يدين بمقتضى لا إله إلا الله لأن كلا من أفرادِه يأخذ ما أحلَّ الله ويتركُ ما حرم الله عليه تفاعلا مع عقيدتِه التي تُملى عليه ذلك فينكف عن الاعتداءِ والظُّلمِ والعُدْوَان ويحل محل ذلك التعاونُ والمحبةُ والموالاةُ في الله عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٦٠).

---

(٥٨) الآية رقم (١٥٩) من سورة الأنعام.

(٥٩) الآية رقم (٥٣) من سورة المؤمنون.

(٦٠) الآية رقم (١٠) من سورة الحجرات.

يظهر هذا جلياً في حالةِ العربِ قبل أن يدينوا بهذه الكلمـةِ وبعـد مادانـوا بها ـ فقد كانوا من قبل أعداء متناحرين يفتخرون بالقتلِ والنَّهب والسلب فلما دانوا بها أصبحوا اخوة متحابين كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٦١].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[٦٢]

٣ ـ حصول السيادة والاستخلاف في الأرض وصفاء الدين والثبوت أمام تيارات الأفكار والمبادىء المختلفة ـ كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[٦٣].

فربطَ سبحانه حصول هذه المطالب العالية بعبادتِه

(٦١) الآية رقم (٢٩) من سورة الفتح.

(٦٢) الآية رقم (١٠٣) من سورة آل عمران.

(٦٣) الآية رقم (٥٥) من سورة النور.

وحده لاشريك له الذي هو معنى ومقتضى لا إله إلا الله.

٤ ـ حصولُ الطُمأنينة النفسية والاستقرار الذِّهني لِمَنْ قال لا إلهَ إلا الله وعمل بمقتضاها لأنه يَعبُدُ رباً واحداً يعرف مرادهَ وما يُرضيه فيفعله ويعرف ما يُسخطه فيجتنبه بخلافِ من يعبد آلهةً متعددةً كل وَاحِد منها له مراد غير مراد الآخر وله تدبير غير تدبير الآخر كما قال تعالى:

﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٦٤].

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لرجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾[٦٥].

قال الامام ابن القيم رحمه الله: هذا مَثَلٌ ضربهَ الله سبحانه للمشركِ والموحدِ، فالمشركُ بمنزلةِ عبدٍ يملكه جماعةٌ متنازعون مختلفون متشاحنون والرجل المتشاكس: السيء الخلق.

فالمشرك لما كان يعبد آلِهَةً شتى شُبِّهَ بعبد يملكه

(٦٤) الآية رقم (٣٩) من سورة يوسف.

(٦٥) الآية رقم (٢٩) من سورة الزمر.

جماعـة متنافسون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، والموحدُ لما كان يعبدُ الله وحده فمثله كمثلِ عبـدٍ لرجـلٍ واحدٍ قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه فهو في راحةٍ من تشاحنِ الخلطاءِ فيه، بل هو سالم لمالكِـه من غير تنـازعٍ فيه مع رأفةِ مالكِه ورحمتِه له وشفقتِه عليه وإحسانه اليه وتوليه لمصالحه، فهل يستوى هذان العبدان[٦٦]

٥ ـ حصـولُ السمو والرفعة لأهلِ لا إله إلا الله في الدنيا والآخرة ـ كما قال تعالى:

﴿حُنَفَاءَ لله غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهوِى بِهِ ٱلرِيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٦٧].

فدلت الآية على أن التوحيد علو وارتفاع وأن الشرك هبوط وسفول وسقوط.

---

(٦٦) أعلام الموقعين (١/١٨٧).

(٦٧) الآية رقم (٣١) من سورة الحج.

قال العــلامــة ابن القيم رحمــه الله: شبــه الايمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبــطه، فمنهــا هبط إلى الأرض واليها يصعد منها، وشبــه تارك الايمانِ والتــوحيد بالســاقطِ من السماءِ إلى أسفــل سافلين من حيث التضييقِ الشــديد والآلام المتراكمــة والطير التي تخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله تعالى تؤزه وتزعجه وتثلقه إلى مظان هلاكه ـ والريح التي تهوى به في مكان سحيق هو هواه الــذي يحمله على القاء نفسه في أسفل مكان وابعده عن السماء(٦٨)

٦ ـ عصمةُ الدمِ والمالِ والعرضِ، لقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل النـاس حتى يقـولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها**»(٦٩)، وقوله: (بحقها) معناه أنهم اذا قالوها وامتنعوا من القيام بحقها وهــو أداء ما تقتضيه من التوحيد والابتعاد عن الشرك

(٦٨) أعلام الموقعين (١٨٠).

(٦٩) رواه البخاري (١٣/ ٢١٧) في الاعتصام.

والقيام بأركـــان الإســـلام أنها لا تعصم أمـوالهم ولا دماءهم بل يقتلون وتؤخذ أموالهم غنيمة للمسلمين كما فعـل بهم النبي ﷺ وخلفاؤه.

هذا ـ ولهذه الكلمة آثار عظيمة على الفرد والجماعة في العبادات والمعاملات الآداب والأخلاق. . .

وبـالله التـوفيق، وصـلى الله وسلـم على نبينـا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهــرس

اقرأ في هذا الكتاب

- مكانة لا إله إلا الله
- فضل لا إله إلا الله
- إعرابها وأركانها وشروطها
- معنى لا إله إلا الله ومقتضاها
- متى ينفع الإنسان التلفظ بها ومتى لا ينفعه ذلك
  - ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية
  - ما قاله الشيخ محمد بن عبدالوهاب
  - ما قاله الحافظ بن رجب
- آثار لا إله إلا الله

مطابع الجمعة ت ٤٠٤٢٠٠٩ / ٤٩٥٥٤٤٤